قصيدة (شربنا على ذكر الحبيب مدامة) لابن الفارض، قراءة في ضوء معياري الاتساق والانسجام النّصي

م.م. صلاح راهي ابراهيم حمزة
وزارة التربية مديرية تربية بغداد الرصافة الثانية – العراق
Salalhydry70@gmail.com

التقديم: 2022/7/12 القبول: 2022/9/12 النشر: 2023/3/15
Doi: https://doi.org/10.36473/ujhss.v62i1.2038

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licenses

الملخص:

يقوم البحث بدراسة معياري الاتساق والانسجام النّصيين بالوقوف على عنصري(السبك والحبك) بين اللفظ والمعنى اللذين يقوم عليهما خطاب الشاعر الصوفيّ بوصفه يوازي الخطاب الأدبي، إذ أعمل الصوفيّة فيه جهدًا لما وضعوا فيه من تعبيرهم عن الوجد في تجربة تفردت بكوّنها روحيّة في صورها، حملت للمتلقي قراءات عدة منها جانب اللغة الذي لم يدرس بجميع أجزائه وتمظهراته، إذ جاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذا الجانب ويبين الألفاظ والمعاني التي تكوّن مع مجموعة المعايير السبعة التي شغلت الدرس البلاغي والنقدي قديمًا وحديثًا، وإنْ لم يكن فيها محلّ للاتفاق، وأنَّ مجموع هذه المعايير تجعل من النّص ذا حدث تواصلي بين المتكلم والمخاطب ضمن نص يُعدُّ من أهم نصوص الأدب الصوفيّ لشعراء العصر العباسيّ إلا وهو شعر المتصوف سلطان العاشقين عمر بن الفارض ت(632هـ)، فشعره تمظهر لجمال الصورة.

الكلمات المفتاحية : الخطاب الصوفيّ، المعايير النّصية، الاتساق ، الانسجام، ابن الفارض.

The Poem (We Drank on the Remembrance of the Beloved Madamah) by Ibn Al-Farid: a Reading in Preparation: in the Light of the Criteria of Coherence and Textual Harmony

Asst. Inst. Salah Rahi Ibrahim Hamza
The Ministry of Education, Baghdad Education Directorate, Rusafa II - Iraq
Salalhydry70@gmail.com

Abstract:

The research studies the two standards of textual consistency and harmony by standing on the two elements (casting and knitting) between the word and the meaning on which the Sufi poet's speech is based as it parallels the literary discourse. Several readings, including the aspect of language that has not been studied in all its parts and manifestations. This research came to shed light on this aspect and shows the words and meanings that are formed with the set of seven criteria that occupied the rhetorical and critical lesson, ancient and modern, although there is no place for agreement in them, and that the sum of these criteria makes the text a communicative event between the speaker and the addressee within a text that is considered one of the most important. The most important texts of the mystical literature of the poets of the Abbasid era, which is the poetry of the mystic Sultan of the Lovers Omar Ibn Al-Farid (632 AH), his poetry is an expression of the beauty of the image.

Keywords: Sufi discourse, textual standards, consistency, harmony, Ibn al-Farid

المقدمة:

يُعدُّ الخطاب الصوفيّ واحدًا من أهم فنون الأدب العربيّ وجزءًا منه الذي تناوله الباحثون بالدراسة والبحث، إذ يمثل شكلًا بتطور أشكال التعبير اللغوي للاتجاه الصوفيّ كأحد أقوى اتجاهات الأدب للمهتمين بالنّص الشعريّ وتحديدًا في القرن الذي عاش فيه ابن الفارض، إذ شهد القرن السابع الهجريّ أسلوبًا ولغةً مميزة ببيان وجمالية سبكها، خلقت وحدة فنية، وعبّرت عن تجربة عرفانية وأُخرى وجدانية صادقة، إذ عده النقاد ضربًا من الكتابة الإبداعية بما ميزه من خصوصية فنية وجمالية كشفت عن وجدهم ومحبتهم تجاه المحبوب بإحساس مرهف ووصف آخاذ يشبه ما ألفته شعراء الغزل وممّن وصفوا الخمرة، فهو خطاب لا يخرج عن إطار الخطابات الأدبية الأخرى بوصفه فعلًا كلاميًا توافرت فيه جملة من المعايير النّصية أكسبته سمة التواصل لتضمنه الاتساق والانسجام التي نجدها في أبرز أنواع الخطاب المهمة.

الخطاب الصوفي نص لغوي له أبعاد عميقة الدلالة، له إيحاءاته المعبرة التي عبّر بها شعراء بارزون أمثال(سلطان العاشقين) عمر ابن الفارض ت(632هـ) عن وجدهم وأفكارهم، إذ يعدُّ ابن الفارض من أهم شعراء عصره بعامة، وشعراء الصوفية في العالم الإسلامي بخاصة، فعرف بغرامه الدائم، وفي شعره تجد المحُبّة الإلهيّة، التي أشتهر بها بين أُدباء عصره.

وقد تبنى الباحث عرض أهم معياريين من معايير النّص، وهما التماسك والانسجام النّصيان، مُتخذًا من نظرية دي بوجراند (de Beaugrand) في تحليل النّص الشعري تحليلًا لسانيًا، فهو مزاوجة بين معطيات (علم اللغة النّصي) وبين المنهج الوصفي، ومتبعًا تطبيق هاليدي ورقية حسن لأصل هذه المعايير، واقتضى البحث أنَّ يكون له مقدمة ومدخل نظري تحدثنا به بإيجاز عن ابن الفارض وعن المعايير النّصية بعامة والتماسك والانسجام بخاصة، ومن ثُمَّ قسم البحث إلى ثلاثة محاور تبعها أهم ما توصلت إليه الدراسة من النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع.

اللّهُمَّ بنعمتك تتم الصالحات فبما وفقتني يا ربِّ، فإنَّي فقيرٌ وإلى العلمِ أحوج، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

التمهيد:

في مفهوم النّص والمعايير النّصية:

ليس النّص مجرد توالي الألفاظ لسانيًا، أو ما يعبر عنه بمجموعة الكلمات تجتمع في النّص كيفما اتَّفق، من دون تنظيمها وترتيبها، بل شكل لبناء هندسي لسانيٍّ مُحكم.

وقد عبر محمّد مفتاح عن النّص بأنَّه: ((مدونة حدث كلامي ذو وظائف متعددة)) (مفتاح محمّد، 1985: 120) (Muftah,Muhammad,1985,p.120) ويبدو أنَّ رولان بارت كان الأكثر دقة في تعريفه لمفهوم النّص الأدبي فهو الذي يشكل عنده تلك المنظومة المتكاملة في تعقيدها التركيبي المتشابكة في الصياغة لشبكة العلائق المتداخلة في الصياغة المنتظمة، فالنّص متعدد لتعدد المعاني بذاته(بارت، 1986: 114)(Bart,1986,p.114) .

إنَّ التباين بين أراء النقاد والباحثين جعل من تعريف النّص منعة لم يصل إليها أحدٌ من المحدثين والمتقدمين من القدماء العرب لتنوع مشاربهم، وهو مما وقف عنده ممن عني بمصطلح النّص (عزّام، 2001: 11، وبحيري سعيد، 1997: 107) .(Azzam,2001,p.11,and Bahiri,Saeed,1997,p.107)

ولعل تعريف النّص عند سعيد يقطين كما يبدو يقترب من معاني النّص الصوفي المكتوب المعبر عن وجدهم ومحبتهم ووصف أحوالهم إذ يقول: ((يأخذ النّص شكل متوالية خطية ذات علاقة مرتبة على الورق)) (يقطين، سعيد، 1988: 13) (Saeed,Pumpkin,1988,p.13). أما سعد مصلوح فإنَّ تعريفه للنّص يدور في الدائرة الدلالية ذاتها فيقول: ((أما النّص فليس إلا سلسلة من الجمل كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل، الداخلة في تشكيلاته)) (مصلوح، 1990: 407)(Maslouh,1990,p.407) .

أما المعايير النّصية، فإنَّ النّص ليس إلا ظهور للمعنى وإنَّ كان ظهوره في قصدية من منشئه، فلا بُدَّ من كونه أحد هذه المعايير التي دعا إليها دي بوجراند في نظريته وقد عبّر عنها بمجموعة من السمات أو المعايير التي ينظر بها للنّص؛ ليكون نصًا وخطابًا يتسم به ، وإنْ كان في جملة أو مجموعة متوالية من التراكيب المتتالية؛ لأداء المعاني المقصودة فلا قيام للنّص من دون تواصلية وقصدية ومقبولية وإعلامية، فالجملة ليست إلا وسيلة يتحقق بها النّص(خطابي،1991: 13) (khatabi ,1991,p.13). إذ إنَّ النّص لم يعد يكتفي بالجملة الواحدة، فالكلمات لها قيمة تمثلها تلك الدفعات المشروط فيها لغة سليمة وأسلوب رصين لتكوين النّص (بارت، 1992: 30)(Bart,1992,p.30) . فما يجمع الباحثين أنَّ النّص فيه قواسم مشتركة ترتبط بها وحدات النّص على اختلاف تنوعها عندهم فالشكل والمضمون لا يمكن أنْ يقف حائلًا دون اللغة الجامعة للنّص في تكوين الجملة فيه وإنْ قصرت الجملة أو كانت طويلة نسبيًا.

ومما يجدر الإشارة إليه أنَّ ما يحقق للنّص نصانيته توافر أربعة مما ذكره دي بوجراند لكي يوسم النّص بالكمال، وأهمها حضورًا بين المعايير السبعة هي: الربط، والتماسك، والقصدية، والموقفية (بحيري سعيد، 2000: 169−170)(bhiri, saeid,2000,p.169-170) .

إنَّ هذا البحث اعتمد معياري (الاتساق، والانسجام)، أو ما يعبر عنها بالحبك والسبك بوصفهما من أهم المعايير النّصية التي ينسب إليها النّص في علم لغة النّص بوصفهما شرطين يتحقق بهما وفيهما النّص عن غيره، وهو مما دفعنا لاتخاذ نص ابن الفارض في قصيدته المعروفة بين قصائده بالميمية أو الخمرية مادة تطبيقية خدمة ورغبة لمعرفة المعنى، وهو جهد متواضع في النقد لبيان جانب من نصية القصيدة الصوفية ذات الوجدان والروحيّة التي ترجمت تجربة الشاعر الخلاقة في روحيته التي عبر بها عن المحبّة الإلهيّة التي يمرّ بها في التعبير عن تقلبه بين الأحوال والمقامات فضلا عن بيان تلك الجماليات التي اصبغت بها القصيدة في جمال لغته المعبر عنها .

نبذة من سيرة ابن الفارض(576– 632هـ)، (1180–1235م):

يتفق الباحثون على أنَّ اسمه هو عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي ويكنى بأبي حفص وأبي القاسم ونعت بشرف الدين ويعرف بابن الفارض (ابن خلكان، د.ت: 454/3) (abn khalkan,da.ta,p.3/454)، فهو حمويّ الأصل مصريّ الولادة والنشأة، وتوفي ودفن فيها، ووالده شمس الدين، ويعدُّ من أكابر علماء عصره، إذ تفرد بالمواريث (الفرائض) ولقب بها بالفارض وألصق هذا اللقب بولده عمر فيما بعد، يقول عنه صاحب النجوم الزاهرة:((الصالح الشاعر المشهور، أحد البلغاء والفصحاء، وهو صاحب النظم الرائق، والشعر الغرامي الفائق... وشعره أشهر من أنْ يذكر)) (ابن تغري، يوسف، 1963: 288/6) (abn taghri, yusif,1963,p.6/288)

وقال عنه صاحب كتاب بدائع الزهور: ((وكان الشيخ شرف الدين، رحمه الله، فريد عصره في علم التصوف وكان له نظم جيد في معاني الغراميات ...وقد عاصر الشيخ شرف الدين جماعة من أكابر العلماء)) (الحنفي، محمّد، 1984: 266/1) (alhanafi, mhmmd,1984,p.1/266) وقد قال عنه المناوي: ((وهو الملقب في جميع الآفاق بسلطان المحبين والعشاق، المنعوت بين أهل الخلاف والوفاق، بأنَّه سيِّد شعراء عصره على الإطلاق، له النُظم الذي يستخفُّ أهل الحلوم)) (الحنبلي، ابن العماد، 1979: 149/5) (alhanbali, abn al-eamad,1979,p. 5/149). وقد أقام في مكة مدة خمسة عشر عامًا قضاها في السياحة والخلوة ودرب نفسه على الرياضات الروحيّة في شعاب جبالها وأوديتها، وقد أخذ العلم على يد مشايخ وعلماء عصره وعرف باهتمامه واشتغاله بفقه الشافعية والعمل به وأخذ الحديث عن ابن عساكر، لكنه زهد بكلِّ ما تقدم ثم تجرد وسلك طريق التصوف بالعزلة والزهد.

إنَّ سعي الشاعر في بناء منظومة تصوراته وأفكاره وإيصالها للمتلقي تنطوي على جزئيات تمثلها الصور كالألفاظ إذا تعالقت مع غيرها مثل حضورها في التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز؛ لتنضوي تحت كليات الصور، فهو بهذا يستعين بالتراكيب اللغوية المتمثل بالكلمة فالجملة؛ ليُعبِّر عن معان عدة تجتمع لتُمثِّل فكرة ورؤية أو مجموعة أفكار ورؤى.

لقد جاء التصوير عند شعراء الصوفيّة بمظاهر بلاغية متعددة، إذ تُعدُّ جزءًا من بلاغة الخطاب الشعريّ الصوفيّ وأحد وسائل إيصال أهم القضايا الكبرى لتجرده وسلوكه لمريديه وللمتلقي بعامة، فإنَّ المظهر التشبيهي والاستعاري، ومظاهر الكناية والمجاز والرمز قد اتخذت موقعًا متميزًا في تصوير معاني شعرهم، وهو ليس بعجيب، إذ يُعدُّ مُتممًا لتجربتهم الشعريّة و جزءًا منها، وهو ما سيتم تتبعه في هذا المبحث مع عقد الموازنة بين صور الشاعرين في الدراسة.

الإطار النظري لبيان الاتساق والانسجام:

المحور الأوّل: الاتساق (الربط):

يعد الاتساق من أهم معايير النّص التي أخذ بها النقاد قديمًا وحديثًا، ومعها يتحقق للنّص خاصية الاستمرار اللفظي والدلالي، إذ تبدو معها العناصر السطحية صورة لحالة أو واقعة لحدث ما يؤدي معها

اللاحق بالسابق، فيتحقق لأجلها الترابط النّصي، فقد تناثرت شذرات تعريف مصطلح السبك، إذ تعددت التسميات الاصطلاحية في هذا المعيار النّصي، وأخذ بها النقاد، فهي عندهم لها عدة استعمالات دلالية منها: **السبك** (عبد المجيد، 1998: 77، ومصلوح، 1991: 154، وأحمد، 2009: 78، والعبد، 2013: 70) (Abd-al-Majid,1998,p.) 77, Maslouh,1991,p. 154, Ahmad, 2009,p. 78, and Al-Abd,2013,p.70)، و**الاتساق** (خطابي، 1991: 409)(khatabi,1991,p.409) ، و**التماسك** (بحيري، سعيد، 1997: 143)(bhayri, saeid, 1997,p. 143) ، و**التضام**(دي بوجراند، وآخرون، 1992: 11-71)(di bujrandi, akhrun, 1992,p. 11-71) ، و**الربط أو الترابط** (محمّد عزة، 2009: 99) (mhmmd eazat,2009,p. 99).

ولعل الاتساق هو الأكثر انتشارًا من بينها، بوصفه يعني التماسك المصاحب لأجزاء النّص، الذي يولي أهمية لجانب من جوانب النّص الشكلية المتصلة بوسيلة اللغة فيما بين عناصر مكونة للنّص أو جزء منه، إذ يتبع واصف النّص طريقة من بداية النّص حتى نهاية لرصد الضمائر مثلًا أو الإشارات المرافقة فيه، فيولي اهتمامه بوسائل متنوعة مثل العطف، والحذف، والاستبدال، والاستدراك، وغيرها؛ لأجل إثبات أنَّ النّص يتشكل بها كُلًا واحدًا من هذه الأجزاء، أو تراه يجد في النّص ترابطًا وانسجامًا في الجمل التي أجري بناء النّص عليها، فيغير المتلقي في وصفه وفقًا لاتساق النّص (خطابي، 1991: 5)(khatabi,1991,p.5) .

وهذا يعني أنَّ كلَّ نصٍ أدبيّ يتمظهر فيه أمران؛ أحدهما يتعلق بانسجام النّص بذاته، والآخر يقع في كيفية التماسك والاتساق لما يتمركز بالنّص ويميزه عن غيره بوصفه نصًا، فالاتساق هو أحد عناصر محددات النّصية للخطاب الأدبي.

إنَّ قوام ترابط النّص واتساقه عماده، لكن الروابط المتعددة في تنوعها بين تركيبة الجمل وإحالاتها وزمن طول الجملة وقصرها في ذلك الانتظام الهندسي، فضلًا عن ابتكار وسائل فنية أُخرى يفرضها النّص عن غيره، فينحرف عن المألوف ويتسع معها إبداعه في النّص مما يحتم على الناقد في توجيه بوصلة النقد في إعطاء أهمية لتلك الوسائل المؤدية لانسجام النّص وبناء الخطاب (قطوس، 1997: 125) (qutuws,1997,p. 125)، ولا بُدَّ من وسائل تترابط فيها النّصوص لمعرفة المعنى ومدى تفاعل أجزاء النّص مع بعضها وهي بحسب رأي الباحثين (بحيري، سعيد، 2000:173، ومحمّد عزة، 2009: 116، وخطابي، 1991: 16، والنجار، 2013: 32): (bhayri, saeid, 2000,p.173,mhmmd eazat, 2009,p.116, khatabi,1991,p. 16, al-najar, 2013,p. 32) تنقسم إلى:

أ ـ وسائل الاتساق(السبك) النحوية، وهي:

1. الإحالة
2. الحذف والاستبدال
3. الوصل

ب ـ وسائل الاتساق(السبك) المعجمي، وهي:

1. التكرار

2. المصاحبات المعجمية
3. السبك الصوتي

المحور الثاني: الانسجام (الحبك):

أحد المعايير وأهمها لدراسة النّص يوجه فيه النقاد اهتمامهم لرصد تلك الوسائل أو الترابط بالعلاقات المفهومية التي توصلنا إلى فهم النّص في بنيته العميقة، وقد تعددت المفاهيم الاصطلاحية فيه، فهو عند النقاد يعني: **الحبك** (العبد، 2013: 70، وعبد المجيد، 1998: 141، وأحمد،2009: 127و252، ومصلوح، 1991: 154، والنجار 2013: 64)(al-eabdu, 2013,p.70,eabd,al-majid,1998,p.141,ahmadu,2009,p.127-252, masluhun,1991,p.154, al-najar,2013,p.64)، و**الانسجام**(خطابي، 1991: 409، وقياس ليندة، 2009: 138، والصبيحي، د. ت: 81)(khatabi,1991,p.409,qias lindata,2009,p. 138, al-subihi,da.T,p.81) ، و**التماسك المعنوي**(محمّد عزة، 2009: 184) ، و**التقارن**(دي بوجراند، وأخرون، 1992: 11) (di bujrandi, and,akhrun, 1992,p. 11) ، و**الالتحام**(دي بوجراند، 1998: 103و590) (di bujrandi,1998,p.103-590).

فالحبك هو أشهر ما عرف عن هذا المعيار ويعدُّ من أهم جوانب دراسة النّصوص وتحليلها بوصفه الوحدة الكبرى بعد أجزاء النّص التي بني عليها، إذ يقوم عمله على بناء النّص وترابطه وتماسكه المعنوي؛ لأنَّه يقوّم الترابط الكلي للنّص، وله دور فهو حلقة الوصل بين المتلقي، ومنشئ النّص، فضلًا عن قيامه بالترابط الدلالي المستمر الموصل لتلك العلاقات المعنوية بين عناصر النّص، وهو مما يربط باللفظ والحبك بالمعنى دائمًا(عفيفي، 2001: 90–91، ومصلوح، 1990: 154)(efifi,2001,p.90-91, masluhu,1990,p.154) ، ولقد عرّفه محمّد مفتاح بقوله:((تلك العلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل، حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها)) (مفتاح، 1987: 151) (miftahi,1987,p.151) .

ويؤكد محمد خطابي أنَّ انسجام النّص هو الأعم من الاتساق والأشد عمقًا والسبب يعود برأيه إلى ما يحتاجه لبناء الانسجام عند المتلقي لصرف اهتمامه جهة تلك العلاقات التي أخفاها منشئ النّص (خطابي، 1991: 5)(khatabi,1991,p.5)، وإنَّ معيار الاتساق لا بُدَّ له من وسائل كما تقدم؛ لتؤدي الترابط النّصي (دي بوجراند، 1998: 103، ومحمّد عزة، 2009: 104–105، والصبيحي، د.ت: 86، وعفيفي، 2001: 105)(di-bujrandi,1998,p.103,mhmmd,eazat,2009,p.104-105,al-subihi,di.t,p.86, and,eafifi, 2001,p. 105) وهي :

1. العلاقات الدلالية
2. السياق

هذا الجانب النظري لنظرية دي بوجراند والتي سيتم معالجة نص ابن الفارض وتحديدًا ميميته المعروفة بالخمرية؛ لذا سيكون دراسة خطاب النّص الصوفيّ عنده ضمن المستويات التي يتم معالجتها والتعرف على النّص عن كثب وبيان تميّزه من عدمه على النحو الآتي:

وسائل الاتساق والانسجام وتطبيقاتها في القصيدة الخمرية:

أ ـ **وسائل الاتساق(السبك) النحوية**، وهي:

1. الإحالة :

لا تُعدُّ الإحالة مصطلحًا لسانيًا حديثًا، إذ استعمل كمصطلح نحوي أو لغوي أو بلاغي عند القدماء فقد عرفه ابن رشيق القيرواني تـ(456هـ)، فأفرد له بابًا في كتابه العمدة(القيرواني، 1981: 2/88) (alqayrawani,1981,p.2/88)، وتحدث عنه النحاة ومنهم ابن هشام فقال فيه بإسهاب في باب عود الضمير على متأخر وعده في سبعة أنواع (الأنصاري، 2000: 5/ 533–548) (al'ansari,2000,p.5/ 533-548).

أما عند المحدثين فإنَّك ترى التعقيد واضحًا؛ لعدم ثبوت الاستعمال والسبب يعود لكثرة التوسع في أخذهم به عند المختصين في علم لغة النّص، فقد عرفها دي بوجراند بأنها: ((العلاقة القائمة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تُشير إليه العبارات))(دي بوجراند، 1998: 172)(di bujrandi,1998,p.172) .

وقد طبق الباحثان(هاليدي و رقية حسن) مصطلح الإحالة على نصوص فوجدا أنَّ العناصر المحلية كيفما كان تنوعها لا تكفي بذاتها من جهة التأويل، إذ لا بُدَّ من العودة لما تشير إليه تلك العناصر؛ لتأويلها ومعرفة علاقاتها الدلالية في النّص الشعريّ (خطابي، 1991: 16–17)(khatabi,1991,p.16-17) . وبناءً على ما قدمناه، فإنَّ الإحالة وفقًا لنص ابن الفارض تنقسم إلى قسمين يشتركان في الوسائل وهما:

1. الإحالة المقامية أو الخارج نصية:

فهي إحالة صاحب النّص إلى أشياء لم ترد في النّص ضمن السياق اللغوي ممّا تشكّل استنباطًا من قبل المتلقي وفقًا لمعرفته بسياق المقام ودلالة تلك الألفاظ.

2. الإحالة النّصية أو الداخل نصية:

وهي إحالة داخل لغة النّص ذاته، ويستعمل فيها صاحب النّص إحدى وسائل الإحالة للإشارة إلى نص قصير أو طويل / كلمة أو عبارة سابقة أو لاحقة عليه في الجملة (عفيفي، 2001: 117) (efifi,2001,p.117). وبناءً على ما تقدم فإن سياق النّص في الإحالة له أربع وسائل، وهي كما يأتي بيانه:

1. الإحالة بالضمائر:

إنَّ الضمائر أبرز أدوات السبك النّصيّ، بوصفها تنوب عن كثير من الكلمات والأسماء، فضلًا عن التراكيب والجمل، وتتعدى وظيفتها السابقة إلى كونها رابطة بين أجزاء تكوين النّص مقاميًا ومقاليًا بنوعيه السابق(القبلي) واللاحق(البعدي)(محمّد، عزة،2009: 1/137)

(mhmmd,eazat,2009,p.1/137)، وللضمائر في حضورها في نص ابن الفارض تنوع بحسب الحضور في المقام والغياب، فاتسمت بأنَّها تنقسم إلى: ضمائر للحضور، وأُخرى للغياب، فضلًا عن انقسام ضمائر الحضور إلى: متكلم وهي مركز المقام النّصيّ أو الإشاري الباث لخطابه، وضمائر للغائب يقابل ما سبق، أمّا ضمير الغيبة فيرتبط بحسب أولوية الارتباط في النّص؛ لأنَّ هذه الإحالات تسهم في سبك النّص بربط الألفاظ في نواة النّص، فنص قصيدة الميمية يلاحظ فيه النسيج النّصيّ المترابط لأغلب أنواع الضمائر حضورًا وإن تميز الخطاب بالقبلية للغائب عن غيره لاهتمامه به كونه يحمل معه معنى الإعلامية في القصدية الموجه إليها الخطاب، إذ يبدو مثلًا الأنا في مطلعها بالحضور الواضح لضمير (نا) فيقول: [الطويل]

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكَرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ

(الجويدي، 2008: 191)(al-juiidi,2008,p. 191)

ثم تراه يكرر هذا النوع من الخطاب بالإحالة ذاتها من نوع الضمير فيقول: [الطويل]

وَقَدْ وَقَعَ التَّفْرِيقُ وَالكُلُّ وَاحِدٌ فَأَرْوَاحُنَا خَمْرٌ وَأَشْبَاحُنَا كَرْمُ

إنَّ تنوع استخدامه لضمير المتكلم(الياء)الذي يكرره ثلاث مرات يدل على اهمية حضوره في سبك النّص عوضًا عن الاسم ومثاله قوله: [الطويل]

وَعِنْدِي مِنْها نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشْأَتِي مَعِي أَبَدًا تَبْقَى وَإِنْ بَلِيَ العَظْمُ

(الجويدي، 2008: 195)(al-juiidi,2008,p. 195)

فإنَّك تلاحظ أنَّ الضمير (الياء) للمتكلم مع حضور الضمائر الأُخرى في النّص كما في (الهاء) للغائب، والضمير (هي) أيضًا كيف حفظت تماسك النّص بترابطه المنسجم بين السابق باللاحق، وحفظت السياق المقامي لمراتب الخطاب ولولاها لأصبحت الجمل غير مترابطة وتغيب النّصية منها.

إنَّ ابن الفارض في نصه هذا يحيلنا لكثير من ضمائر الغائب ومنه (الهاء) وبصيغته المفردة المؤنثة المشار إليه للسابق المحكي عنه وهي الخمرة حتى عدت من خلال السياق المقامي الذي طغى على النّص، ومنه قوله: [الطويل]

لَهَا البَدْرُ كَأْسٌ وَهْيَ شَمْسٌ يُدِيْرُهَا هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ

وَلَـوْلا شَذَاهَا مَـــا اهْتَدِتُ لِحَانِهَا وَلَـوْلا سَنَاهَا مَا اتَصَورَّهَا الوَهْمُ

(الجويدي، 2008: 191)(al-juiidi,2008,p. 191)

فإنَّ أغلب من قدم الشرح لهذه الميمية المشهورة يرى أنَّ الوصف فيها تبعًا للغتها الصوفية المتفردة إشارة منه إلى المدامة أو الخمرة الإلهية التي ترمز إلى المحبة الإلهيّة أو المعرفة الحقَّة، فهي إشارات عميقة لمعانٍ صوفية دقيقة(حلمي، د.ت: 101)(hilmi, da.t, p.101) .

وهذا ما يؤكد أهمية اعتقاد ابن الفارض في كون المعرفة أو المحبَّة الإلهية التي ينشدها المتصوف العارف بالله هو الباعث لأحوال الوجد والسكر المعنوي الذي تجلت له الغيبة بالواردات المقبولة، فلا عيش من دونها وذلك بالإحالة لها بالضمائر، فيقول:[الطويل]

فَلَا عَيْشَ فِي الدّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِيًا وَمِنْ لَمْ يَمُتْ سُكْرًا بِهَا فَاتَهُ الحَزْمُ
عَلَى نَفْسِـــهِ فَلْيَبْكِ مَــنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلِيْسَ لَـــهُ فِيْهَا نَصْيبٌ وَلَا سَهْمُ

(الجويدي، 2008: 196)(al-juiidi,2008,p. 196)

ولم نعهد في نص ابن الفارض أنَّه أحال بالاسم الموصول أو أسماء الإشارة إلا في مرتين من القصيدة إجمالًا وتحديدًا اسم الإشارة (ذلك) فيقول: [الطويل]

وَفَوْقَ لِوَاءِ الجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا لَأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللِوا ذَلِكَ الرَّقْمُ

(الجويدي، 2008: 193)(al-juiidi,2008,p. 193)

فإحالته باسم الإشارة هي إحالة إشارية قبلية وقد عوضت عن ذكر الاسم فضلًا عن تحقق أركان الإشارة فيه، وقد حقق الترابط السبكي النّصيّ بالاختزال وذكر الكثير من الكلام.

2. الحذف (حمودة، 1998: 4)(hamuwdat,1998,p.4) **والاستبدال** (دي بوجراند، 1998: 300): (di bujrandi,1998,p.300)

يشترك كل من الحذف والاستبدال في تنوع ما ينقسم إليه كل منهما(محمّد، عزة، 2009: 114-115) (mhmmd,eazat,2009,p.114-115)، وهي بحسب الدراسة:

أ ـ الحذف والاستبدال الاسمي:

فالحذف من الجملة لا يتم إلا إذا كانت هناك قرينة سياقية تدلّ عليه في المعنى كما في حذف المبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو المفعول به ما لم يشكل معه الحذف خللًا في المعنى وفي الشعر كثير وابن الفارض كان في العربية ضليعًا وعارفًا ومن أمثلة حذف المبتدأ في ميميته قوله: [الطويل]

يَقُوْلُوْنَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيْرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ
صَفَـاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَـوَا وَنُوْرٌ وَلَا نَــارٌ وَرُوْحٌ وَلَا جِسْـمُ

(الجويدي، 2008: 194)(al-juiidi,2008,p. 194)

فالمحذوف من الجملة هو جزء منها وهو المبتدأ الدال عليه الضمير السابق في قوله(صفها، وبوصفها، وبأوصافها) فهي الخمرة الروحيّة أو المعرفة الإلهيّة التي حذف ضميرها في البيت الثاني ودل السياق عليها (هي صفاءٌ ولا ماءٌ) وقد تكرر الحذف في كل جزء من البيت خوفًا لحصول التكرار وحفاظًا على تماسك النّص، وهذا من أصول بلاغته وليشرك المتلقي في خياله فينشط عنده وضوح القرينة في الحذف.

أما الاستبدال فيتم عنده بعناصر لغوية محددة لتعوض عن اسم وهي(آخر، آخرون، نفس، واحد، وذات) ووجودها ممّا يحقق التماسك بدلًا من تكرارها لعلاقة نصية بين عنصرين أحدهما متأخر وأخر متقدم، ولا يمكن فهم الثاني ما لم يقود المتلقي إلى الأول وهذا النوع غير موجود في النّص عند ابن الفارض وقد يكون في غير هذه القصيدة له استعمال وأهمية.

ب ـ الحذف والاستبدال الفعلي:

الحذف للفعل ما يكون داخل المركب الفعلي للجملة ممّا يرتبط بجملة وهو كثير في النّص وفي مواضع العطف يحسن ذلك، ومن أمثلته قوله: [الطويل]

وَلَوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيْبِهَا وَفِي الغَرْبِ مَزْكُومٌ لَعَادَ لَهُ الشَّمُ

(الجويدي، 2008: 1912)(al-juiidi,2008,p. 192)

فالمحذوف مع المعطوف الثاني من جملة(لو عبقت انفاس طيبها) الدال عليه السياق المتقدم من صدر البيت، ومنه قوله: [الطويل]

مَحَاسِنُ تَهْدِي المَادِحِيْنَ لِوَصْفِهَا فَيُحْسِنُ فِيْهَا مِنْهُمُ النَّثْرُ وَالنَّظْمُ

(الجويدي، 2008: 195)(al-juiidi,2008,p. 195)

فالمحذوف منها جملة فعلية يقدرها المتعاطفان وهي عبارة(ويحسن فيها منهم النظم(ودواعي الحذف لابتعاده عن التكرار وخوفًا من طول الكلام وهذا مما يسهم في بلاغة الشاعر وإن تكرار العناصر يمكن الاستغناء عنه لوروده فيما قبله سابقًا.

وأما الاستبدال الفعلي فهو أن يحل فعل متقدم محل آخر متأخر عليه يعبر عنه بأحد استعمالات مادة (فعل) في صيغها المختلفة من النّص الشعريّ(محمّد، عزة، 2009: 114) (mhmmd,eazat, 2009,p.114). وهذا النوع لم يرد أيضًا في هذه القصيدة.

ج ـ الحذف والاستبدال القولي(العبارة):

إنَّ حذف الجملة بكاملها واختصار الكلام من بلاغة القول ويترك الأمر في ايضاح هذا الأمر للقارئ الفطن ليدركه ولكن نص ابن الفارض لم نجد فيه مثل هذا الأمر بوصفه شعرًا ، وهذا لا يعني أنّ ليس له قيمة وقوة تماسك ومنه على قلته قوله: [الطويل]

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيْهَا نَصِيْبٌ وَلَا سَهْمُ

(الجويدي، 2008: 196)(al-juiidi,2008,p. 196)

فإنه قد تم حذف جملة ما بعد الواو اختصارًا وتحقيقًا لبلاغة القول وهي (وليس له فيها) فابقى لفظة(سهم) ودل عليها ما قبلها من الكلام.

ومنه أيضًا قوله: [الطويل]

هَنِيْئًا لِأَهْلِ الدَّيْرِ كَمْ سَكِرُوا بِهَا وَمَا شَرِبُوا مِنْهَا وَلَكِنْهُمْ هَمُّوا

(الجويدي، 2008: 195)(al-juiidi,2008,p. 195)

وتقدير المحذوف الجملي بعد لفظ(هموا) وهو (أن يشربوها) وقد أراد الشاعر مباركة العارفين بخمرة الروح ووصلها لانها معرفة بالله ولا يدركها إلا السالكون طريق الحقّ .

أما الاستبدال الجملي فإنه يتحقق باستعمال اسم الإشارة (هذا، ذلك، تلك) إذ تعوض بدورها عن جملة(محمّد عزة، 2009: 115)(mhmmd,eazat, 2009,p.115) . ومن الأمثلة في ميمية ابن الفارض قوله: [الطويل]

وَفَوْقَ لِوَاءِ الجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا لَأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللِوا ذَلِكَ الرَّقْمُ

(الجويدي، 2008: 193)(al-juiidi,2008,p. 193)

فإنَّ اسم الاشارة (ذلك)الذي تكرر في البيتين السابقين يدل على الحذف الاستبدالي بدلا من التكرار وتجنبًا للإطالة واختصارًا للقول في نصه مما يحقق التماسك النّصي ويحفظ الوزن معه والايقاع الشعريّ .

3. الوصل:

في اللغة يعني بها خلاف الفصل وكل شيء يتصل بغيره ما لم ينقطع عنه(ابن منظور، د.ت: 726/11)(abn manzuri, da.ta,p.11/726) . وفي اصطلاح علماء النحو والبلاغة ما يؤدي إلى ارتباط الجمل بالأُخرى؛ لتحقيق السبك النّصيّ، فمن النحاة سيبويه ، فتحدث عن عطف المفردات فقال: ((لو قلت: مررت بزيدٍ أخيك وصاحبك. كان أحسن، ولو قلت: مررت بزيدٍ أخيك فصاحبك، والصاحب زيدٍ، لم يجز ، وكذلك لو قلت: زيدٌ أخوك فصاحبك ذاهبٌ، لم يجز، ولو قلتها بالواو حسنت))(سيبويه، 1988: 399/1) (sibwyhi,1988,p.1/399). أمّا من البلاغيين، فقد عرفه كل من القزويني والجرجاني بقولهما((عطف بعض الجمل على بعض))(القزويني، د.ت: 86)(alqazwini,da.t,p.86) ، ولقد ارتبط مفهوم الوصل عند اللسانيين بحروف العطف، فجعلوها ضمن عناصر السبك النّصيّ ومظهرًا من مظاهر ربط جمل النّص، بوصفها تساعد على التماسك النّصيّ البعدي بالقبلي، وقد عرفه هاليدي ورقية حسن بأنَّه: ((الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم))(خطابيّ،1991: 123)(khtaby,1991,p.123) . وتعدُّ حروف العطف من أبرز أدوات الوصل ووسائلها المؤدية لتماسك النّص، ولها الأثر الواضح في سبك النّص، وبوصفها تربط بين كلٍ من المعطوف والمعطوف عليه، فهي ذات أهمية في الشكل والمضمون وجعلت أحد الباحثين يقول: ((إنَّ العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه دلالية فالتماسك إذن شكلي الأداة دلالي المضمون والمعنى لذلك لا تكتسب أداة العطف معناها العطفي إلا من خلال وقوعها في تركيب العطف))(محمّد، عزة، 2009: 249/1)(mhmmd,eazat,2009,p.1/249) . ومن أبرز حروف العطف وروداً في نص ابن الفارض هي الواو ويأتي بعدها حرف العطف الفاء، إذ تندرج الواو ضمن الوصل الإضافي، الذي يشترط بحسب ما يبدو لنا ترابط معنوي بين مجموعة من الصور، فقد أوردها لأكثر من (120) مرة ربطت بين مفردتين في البيت ،وبين جملتين، وبين البيت والبيت الآخر ومثاله قوله: [الطويل]

وإنْ خَطَرَتْ يَوْمًا عَلَى خَاطِرِ أمْرِئٍ أقَامَتْ بِـهِ الأَفْرَاحُ وارْتَحَلَ الْهَـمُ
وَلَـوْ نَظَـرَ النُّدْمَـانُ خَتْمَ إنَائِهَا لَأَسْكَـرَهُم مِـنْ دُوْنِهَا ذَلِكَ الخَتْـمُ
وَلَـوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْـرِ مَيّتٍ لَعَـادَتْ إلَيْهِ الـرُّوحُ وَانْتَعَشَ الجِسْمُ
وَلَـوْ طَرَحُوا فِي فَيْءِ حَائِطِ كَرْمِهَـا عَلِيْلًا وَقَـدْ أَشْفَـى لَفَارَقَهُ السَـقْمُ
وَلَـوْ قَرَّبُوا مِـنْ حَانِهَا مُقْعَدًا مَشَـى وَتَنْطِقُ مِـنْ ذِكْرَى مَـذَاقَتِهَا البُكْمُ

(الجويدي، 2008: 192)(al-juiidi,2008,p. 192)

هذا المقدار من الأبيات ورد فيها العطف كوسيلة للوصل المضموني فكانت سمة للنّص في قوة تماسكه، إنَّ الوصل ليس وسيلة رابطة بين الجمل فحسب، بل تجد له الأثر في التماسك الدلالي الذي يحدثه النّص، لأنَّ أدوات الربط ومنها حرف العطف الواو، هي ((علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل))(الزناد، 1993: 37)(al-zanadi,1993,p.37) . ويتبين أنَّ كثرة ورود الوصل بالواو لمضمونها

الدلالي لمطلق الجمع بين المتعاطفين بنوعيهما الخاص على العام والعام على الخاص، فضلًا عن عطفها المفردات والجمل على بعضها.

أما حضور حرف العطف الفاء للوصل الزمني بين جملتين، فإنَّك تجده يضعها بين صدر وعجز البيت الشعريّ، لتدل على الترتيب، والتعقيب كما في قوله: [الطويل]

وَقَدْ وَقَعَ التَّفْرِيْقُ وَالكُلُّ وَاحِدٌ فَأَرْوَاحُنَا خَمْرٌ، وَأَشْبَاحُنَا كَرْمُ

(الجويدي، 2008: 194)(al-juiidi,2008,p. 194)

فقد أدى الوصل بحرف العطف الفاء بين صدر البيت وعجزه لربط المعنى لصورة وحدة الشهود وأثبت بالتفصيل بعد وقوع العطف بالفاء الترتيب بأن الأرواح والأشباح يلتقيان فالتفريق بينهما وهو مما يوحدهما في أصل الخلق فالواو أفادت مطلق الجمع والفاء افادت التعقيب، ومن الأمثلة على العطف بالفاء أيضًا بين البيت في صدره وعجزه وبين البيت اللاحق له قوله: [الطويل]

عَلَيْكَ بِـهَا صِرْفًا وَإِنْ شِئْتَ مَزْجَهَا فَعَدْلُكَ عَنْ ظَلْمِ الحَبِيْبِ هُـوَ الظُّلْمُ

فَدُوْنَكَهَا فِـي الْحَانِ وَاسْتَجْلِهَا بِـهِ عَلَـى نَغَمِ الْأَلْحَانِ فَهْـيَ بِهَا غُنْمُ

فَمَـا سَكَنَتْ وَالْهَـمَّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَـذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَـعَ النَّغَمِ الْغَمُّ

(الجويدي، 2008: 195-196)(al-juiidi,2008,p. 195-196)

يحيل النّص إلى معنى صوفي له دلالة عميقة، فإنَّ مزج تلك الخمرة أو اخذها صرفةً هو ما يجعل المتصوف العارف بشأن التوحيد بذكر لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله بالحق وهو ما شهد به الخلق وأقرَّ به ابن الفارض فإن الإعراض عن المحبوب فيمن اتصف بما تقدم لهو الظلم فلتمسك بمن أولاك النعمة هو المقدمة وهنا تثبت للوصل بالفاء ترتيبًا من دورها للتماسك النّصيّ وربط الجمل بعضها ببعض، وجعلت النّص يتلو بعضه بعض في الشكل والمضمون، فالعلاقة التي جمعت بين الجمل بوصلها بالفاء هي علاقة ((التـدرج أي أنَّ أحـدهما يتوقـف علـى حـدوث الأُخـرى))(دي بوجرانـد،1998: 347) (di bujrandi,1998mp.347) .

ب ـ وسائل الاتساق(السبك) المعجمي:

من أهم وسائل السبك الذي يضفي للنّص تماسكًا بين المفردات من خلال العلاقات الدلالية والتركيبية، فإنَّ مجرد ضم المفردات لبعضها في الدراسات اللغوية ليس له دلالة ما لم يحدث بينها رابط على مستوى المعجمي وهذا لا يتحقق إلا بوسائل لغوية، وهي(خطابيّ،1991: 24، ومحمّد، عزة،2009: 125) (khtaby,1991,p.24, mhmmd ,eazat,2009,p.125):

1. التكرار:

إنَّ التكرار الذي يردُّ في النّص لا يمكن أنْ يكون اعتباطيًا وبخاصة إذا كان ظاهرة مثل تكرار الحرف ، والكلمة، والجملة؛ ليصل الأمر إلى الفقرة، إذ يحقق فوائد على مستوى الشكل والمضمون، فضلًا عن الترابط الذي يحصل بين أجزاء النّص ما لم يترك نفورًا عند المتلقي.

حظي التكرار باهتمام النحاة والبلاغيين وحتى المفسرين بوصفهم أدركوا أثره في سبك الكلام ويحسن جودته في النّص، فأفردوا له بابًا مع التمثيل له بأمثلة كثيرة، ويؤكد أبو هلال العسكري تـ(395هـ)، أنَّ العرب قد استعملوه لتأكيد القول في ذهن المتلقي، وهو مما جاء في القرآن الكريم، وفصيح الشعر.(العسكري أبو هلال، 1952: 193) (aleaskari 'abu hilal,1952,p.193) ولابن سنان الخفاجي، تـ(466هـ) رأي يؤكد فيه القول من أنَّ التكرار حسنٌ، إذا بني على اعادة اللفظ بعينه، أما إذا كان المعنى غير مقصود فإنَّ التكرار قبيح وغير مستحسن(الخفاجي ابن سنان ،1982: 107)(alkhafaji ,abn sanan ,1982,p.107) .

ولأهمية التكرار وفائدته النّصية في النّص الأدبيّ أفرد له الزركشي تعريفًا مانعًا، إذ قال: ((هو إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول؛ لطول العهد به))(الزركشي، د.ت: 10/3) (al-zarkashi, da.t,p.3/10). ومن فوائده العديدة التي ذكرها بعد ذلك أمور منها: التأكيد، وزيادة التنبيه، والإطراء وتجديد العهد به، ولتعدد المتعلقات(الزركشي، د.ت: 3/11-18)(al-zarkashi,da.t,p.3/11-18) .

إنَّ التكرار يعدُّ عند بعض النحويين من ضمن الإحالة الدالة على الاسمية، ومن الباحثين المحدثين من يؤكد ذلك بالقول: ((تشتمل الإحالة الاسمية على تكرير الاسم المحتمل، ويحدث التكرير إما في صياغة متساوية في الشكل، أو متنوعة صرفيًا مقابل الاسم المنطلق النّصي، ويعدُّ من الأسماء المتساوية في الشكل أيضًا تلك الأسماء التي تقدمت تبعًا لتكرير التعيين الاسمي والانتقال من المستوى النّصي إلى الجدة النّصية إلى المعلومة النّصية))(زتسيسلاف، 2003: 124)(Ztsyslav,2003,p.124) . وتنقسم أنواع التكرار عند لساني النّص الحديث إلى ما يأتي :(خطابيّ، 1991: 24، وعفيفي،2001: 106-107) (khtaby,1991,p.24,eafifi,2001,p.106-107):

1. تكرار(الكلمة) المحض أو التام:

هو تكرار للألفاظ في نص الشاعر سواء كانت أسمًا أو فعلًا أو حرفًا له معنى في النّص، ومن الأمثلة لتكرار الاسم قول ابن الفارض: [الطويل]

وَلُطْفُ الْأَوَانِي فِي الْحَقِيقَةِ تَابِعٌ لِلُطْفِ الْمَعَانِي وَالْمَعَانِي بِهَا تَنْمُو

(الجويدي، 2008: 194)(al-juiidi,2008,p. 194)

ومن بين أبرز الأمثلة لذكر الاسم منكرًا قوله: [الطويل]

وَهَامَتْ بِهَا رُوْحِي بِحَيْثُ تَمَازَجَا اتِّ حَادًا وَلَاْ جِرْمٌ تَخَلَّلَهُ جِرْمُ

(الجويدي، 2008: 194)(al-juiidi,2008,p. 194)

ومن الأمثلة لتكرار الحروف الذي تميز به النّص وشكّل ظاهرة لغوية، هو تكرار حرف (لولا)، و(لو)، وحرف العطف (الواو) مع (لا النافية) الزائدة ومن ذلك تكرار حرف(لو) على المستوى العمودي في أكثر من تسعة أبيات ومنه قوله: [الطويل]

وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كفُّ لَامِسٍ لَمَا ضَلَّ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ

وَلَوْ جُلِيَتْ سِرًّا عَلَى أَكْمَهٍ غَدَا بَصِيْرًا وَمِنْ رَاوُوقِهَا تَسْمَعُ الصُّمُّ

(الجويدي، 2008: 193)(al-juiidi,2008,p. 193)

فقد ورد في النّص الشعريّ السابق ما يربط أجزاء النّص ببعضه البعض، ويحقق جملة من الفوائد التي ذكرناها سابقًا.

2. التكرار الاشتقاقي((الجذر اللغوي للكلمة)):

وهو الانتقال بتكرار مشتقات الكلمة في النّص بين اسمية الكلمة وفعليتها أو العكس، أو بين صيغ الفعل الثلاثة، كونها تشترك بدلالة جامعة وتتغاير وظيفتها في النّص مما تعطيه سبكًا تركيبيًا لدلالة النّص. وهذا النوع كثير عند ابن الفارض من مثل(رسم –الرسم)، و(رقم– الرقم)، و(لثم–اللثم)، ومن ذلك قوله: [الطويل]

وَلَوْ رَسَمَ الْرَّاقِي حُرُوْفَ اسْمِهَا عَلَى جَبِيْنِ مُصَابٍ جُــنَّ أَبْرَأَهُ الرَّسْمُ

(الجويدي، 2008: 193)(al-juiidi,2008,p. 193)

فهذا الترتيب الاشتقاقي المقصود بالانتقال من الفعل بصيغته الماضية إلى الاسمية فضلًا عن تعريفه بال التعريف يبين مقصدية الشاعر لبيان خطابه التعالقي بين اللفظين وتحديدًا عندما يكون أحدهما بعيدًا عن الآخر لتحقيق فائدة التأكيد، وزيادة التنبيه، ومن أمثلة تكرار الفعل بصيغتين مختلفين قوله: [الطويل]

فَمَـا سَكَنَتْ وَالْهَـمَّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَــذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَــعَ النَّغَمِ الْغَمُّ

(الجويدي، 2008: 196)(al-juiidi,2008,p. 196)

فإنَّك تلاحظ أنَّ ابن الفارض جعل أحدهما مسبوقًا بما النافية والفعل بصيغة الماضي(سكنت) والآخر مسبوقًا بلم النافية الجازمة والفعل بصيغة المضارع(يسكن) وهذا يدلُّ على تحقيق التماسك النّصيّ والوحدة الموضوعية المتحققة في تمكنه من اللغة وألفاظها، ومن الأمثلة الأخرى التي أوردها (خطرت– خاطر)، و(ركب– الراكب)، و(حلم–يحلم)، و(صفها–بوصفها–أوصافها)، فإنَّ هذا النوع من التكرار يسهم في استمرار الجرس الموسيقي من خلال إعادة اللفظ بالجذر اللغوي لكلمة ما مع اختلاف في بعض الحروف فيها.

3. التكرار بالترادف أو شبهه:

ويحصل هذا النوع بالترادف والمقابلة في تكرار اللفظ الدل على المعنى الدلالي القريب من الآخر أو ما يذكرك بضده، وكان حضوره لافتًا للانتباه، فمثل حضور ألفاظ الخمر أو ما يدل عليها سمة بارزة كون حديثه عنها، ومن ذلك قوله: [الطويل]

فَخَمْرٌ وَلَا كَرْمٌ وَآدَمُ لِي أَبٌ وَكَرْمٌ وَلَا خَمْرٌ وَلِي أُمُّهَا أُمُ

(الجويدي، 2008: 194)(al-juiidi,2008,p. 194)

وقوله في (الهم والغم) والمراد به واحد فيما يجاب معه الحزن، فيقول:[الطويل]

فَمَـا سَكَنَتْ وَالْهَـمَّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَــذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَــعَ النَّغَمِ الْغَمُّ

(الجويدي، 2008: 196)(al-juiidi,2008,p. 196)

وقد أدّى الطباق في شعره ما حقق معه جلب الاسم مع ما يقابله من الألفاظ من المعنى القريب فيحقق معه سبك النّص، فيقول: [الطويل]

وَلَوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيْبِهَا وَفِي الغَرْبِ مَزْكُومٌ لَعَادَ لَهُ الشَّمُ

(الجويدي، 2008: 192)(al-juiidi,2008,p. 192)

فإنَّ هذا التقارب الدلالي يمكن أن يسمى بالترادف أو شبهه بأسلوب فيه يتحدث ببلاغة وبيان، وفيه يكون الشاعر دقيقًا لاختيار ألفاظه تحقيقًا للسبك النّصيّ باستعماله لهذه الألفاظ، فضلًا عن ورود هذه الألفاظ يدور في حلقة المعنى الواحد، إذ يشكل كل منها شبكة دلالية متوحدة وإنْ اختلف في توظيف المعنى في التأويل لأنَّ مقصدية المعنى عند الشاعر حاضرة.

4. تكرار الجملة او النسق:

إنَّ هذا النوع من التكرار له الأثر الكبير في ظاهرة السبك النّصيّ في الشعر، ومن أبرز الأمثلة التي نقف عندها قوله :[الطويل]

وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا الْوَهَمُ

(الجويدي، 2008: 191)(al-juiidi,2008,p. 191)

فإن المعنى الذي يتحقق من سبك النّص للتكرار الجملي لجملة (لولا) الدالة على الامتناع لوجود، وهذا يدل على قصدية عالية لوجودها مع جملة النفي بـ(ما) وفعلها الماضي الذي تكرر في صدر البيت وعجزه (ما اهتديت، وما تصورها).

ونخلص إلى أنَّ التكرار وسيلة من وسائل السبك النّصيّ لما له من دورٍ في ربط الكلم مع بعضه مفردًا وتراكيب بعضها ببعض مما يشدُّ المتلقي إلى الانتباه نحو مراد الشاعر صاحب الخطاب في إعادة اللفظ أو ما يقرب معناها فتوظيف ذلك يحقق الترابط والتأثير والتوازي في المعنى المتمثل في المضمون فضلًا عن التأثير على الايقاع الذي يلتزم به فيستجلب معه ذلك الحضور الذي يلزم الشاعر معه جلب تلك الصيغة من التكرار.

2. المصاحبات المعجمية:

تعدُّ المصاحبات من أهم عناصر السبك النّصيّ كونها تسهم في معرفة دلالة الألفاظ، وفهم المعاني للمتلقي؛ فتساعده على فتح مغاليق النّص، وقد أدرك علماء العربية القدماء أهمية المصاحبات بتنوعها كظاهرة ارتبطت بجملة العلاقات بين الألفاظ مع بعضها البعض، فعلى الرغم من أنَّهم لم يعرفوا هذه الظاهرة بهذا المصطلح في مصنفاتهم إلا أنّهم كتبوا فيها أبوابًا واستشهدوا لها أمثلة كثيرة شعرية ونثرية، ومما يؤكد ذلك قول أحد المحدثين خلال دراسته لأصول هذا المصطلح عند العرب فقال: ((أما اللغويون العرب فإنّهم قد ضربوا سهمًا وافرًا في هذا المجال وكشفوا عن المجالات المختلفة التي تستعمل فيها ألفاظ بأعينها بحيث لو استعمل لفظ في غير ما يتلاءم معه كان ذلك خطأ))(البركاوي، عبد الفتاح، 1991: 72) (albarkawi eabd al-fataahi,1991,p.72) .

فقد وردت عند البلاغيين العرب تحت مسميات عدة أبرزها: المطابقة، و المقابلة، مراعاة النظير. أما عند علماء اللسانيات، فإنَّ المصاحبة كاصطلاح يدخل ضمن الخطاب هي الأكثر شيوعًا، ويعود ذلك لترابط العلاقات بين الأزواج المتتالية للألفاظ التي تردُّ في النّص، وهذا ما جعل (ستيفن اولمان Stephen Ullmann) يعرفها بأنّها:((الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة بكلمات أُخرى معينة، وهذه العلاقة بين زوج من الألفاظ متعددة جدًا))(عبد المجيد، 1998: 107)(eabd almajid,1998,p.107) .

ولهذا النوع من الترابط النسقي في النّص بفضل الازدواج اللفظي وسائل يمكن توزيعها بين الألفاظ بحسب ورودها في النّص لخلق معطى الترابط/السبك النّصي في تماسك بنى المضمون فضلًا عن الشكل وهي(الخطابيّ، 1991: 25)(alkhtaby,1991,p.25) :

1. التلازم الذكري: وهو لزوم لفظ لآخر، مثل (عالم الغيب والشهادة)
2. التضاد أو المقابلة ، مثل (ولد وبنت)
3. الدخول في سلسلة مرتبة ، مثل(السبت ، الأحد، ...)
4. علاقة الكل بالجزء أو الجزء بالكل، مثل: (الرأس ، والجسد)
5. علاقة الجزء بالجزء، مثل: (الأنف بالرئة)
6. الاندراج في صنف كلام ، مثل: (الكرسي ، الطاولة)

ولكن هذه الوسائل ليس بالإمكان توافرها في النّص بمجملها، إذ إنَّها لاحقة الوضع لنص ابن الفارض، ومن الممكن القول أنَّه قد تنبه من قبل لأهم المصاحبات حضورًا وهي المتضادات أو المقابلات بوصفه ممن اهتموا ببلاغة خطابه حيث التعالق بين اللفظ والآخر كما في (البدر والشمس، والأفراح والهم، والشرق والغرب، وحديث وقديم، وأب وأُم، وقبل وبعد، والنثر والنظم)فهذه الأمثلة إذا ذكرت ذكر معها ما يتلازم معه حضور اللفظ الموضوع له في مقابله بوصفه يمثل الضد أو المقابل في حضورها النّصيّ فضلًا عن حضورها الذهني عند المتلقي، ومن ذلك قوله:[الطويل]

وَلَا قَبلَـهَا قَبْلٌ وَلَا بَعْـدَ بَعْدِهَا وَقَبْلِيَّةٌ الْأَبْعَـادِ فَهِـي لَهَا حَتْمُ

(الجويدي، 2008: 194)(al-juiidi,2008,p. 194)

ومن الأمثلة على ما قدمنا أيضًا قوله : [الطويل]

مَحَاسِنُ تَهْدِي الْمَادِحِيْنَ لِوَصْفِهَا فَيَحْسُنُ فِيْهَا مِنْهُمُ النَّثْرُ وَالنَّظْمُ

(الجويدي، 2008: 195)(al-juiidi,2008,p. 195)

فقد أسهمت المصاحبة المعجمية المتمثلة بالتضاد بين النثر والنظم ذات المعنى الدلالي فيما يحسن من المادحين لوصف الخمرة الروحية التي تتعلق قلوب المحبين بها في سبك النّص الشعريّ بفضل الارتباط الكلمي ببعضه البعض

ومن الأمثلة التي تجد فيها الارتباط بفضل إحدى وسائل المصاحبات في النّص التقارب الدلالي للفظ فيما يسبقه بفضل علاقة الجزء بالكل أو العلاقة المسببة لما قبلها قوله في هذه الأبيات:[الطويل]

وَلَـوْ طَرَحُوا فِـي فَيْءِ حَائِطِ كَرْمِهَـا عَلِيْلًا وَقَـدْ أَشْفَـى لَفَارَقَهُ السَـقْمُ

وَلَـوْ قَرَّبُوا مِـــنْ حَانِهَا مُقْعَدًا مَشَـى وَتَنْطِقُ مِـــنْ ذِكْرَى مَـذَاقَتِهَا البُكْمُ
وَلَـوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيْبِهَا وَفِـــي الغَرْبِ مَزْكُومٌ لَعَادَ لَهُ الشَّمُ
وَلَـوْ أَنَّ رَكْبًا يَمَّمُوا قُـــرْبَ أَرْضِـــهَا وَفِـي الْرَّكْبِ مَلْسُوعٌ لَمَـا ضَرَّهُ السُّمُ

(الجويدي، 2008: 193)(al-juiidi,2008,p. 193)

يلاحظ في النّص أعلاه المصاحبة ما بين اللفظ أو عبارة في عجز البيت مع تركيب العبارة السابقة لها في صدر البيت، وعلى ما يبدو أنَّ ما زاد من قوة التماسك وجود (لو) التي تصدرت الابيات السابقة، إذ كلامه على الخمرة الإلهية التي محبتها ملهمة وشفاء من كل داء، والمقعد معها يمشي، والأبكم منها ينطق، والعليل لذكرها يفرقه السقم، والمزكوم يعود بفضل عطرها الشم، فضلًا عن أنَّ الملسوع لدغًا لا يضرُّ السم فيه، فهذا التعميم الذي يكره لصفات هذه الخمرة باستعماله هذه الاوصاف تجعل معها كل نوع من الامراض شفاء لما أصابه.

مما تقدم تبين أنَّ ابن الفارض استوعب جزءًا كبيرًا من المصاحبات المعجمية وإنْ لم تأتِ بالنّص جميعها كوننا ندرس عينة بسيطة بالقياس لعمله لقصائد طويلة من ديوانه، وهذا القليل يدلُّ على حسن انتقائه للألفاظ، ثمَّ يقوم بضمها في علاقات متناسبة يجمعها التماسك الدال على المعاني المترابطة.

3. السبك الصوتي:

تخضع القوافي وحسن اختيارها لخلق نسيج من الموسيقى الايقاعية لمعانٍ معبرة عن مشاعر الشاعر، ممّا يسهم في بنائها أهم معايير النّص سبكًا وقوةً وتماسكًا، إذ يستبين مقدرة الشاعر وبراعته وملكته اللغوية، ويتطلب منه بفعل هذه القافية التي تكون بمثابة السجع في الكلام النثري العذوبة والحلاوة، فقد عرف العرب القافية، واستخدموها في شعرهم، إذ تعدُّ من أهم عناصر سبك نصهم بفضل زينتها وتحقيقًا لنغمها الإيقاعي، إذ تعدُّ ((صورة تضاف إلى غيرها، وهي كغيرها من الصور لا تظهر وظيفتها الحقيقية إلا في علاقتها بالمعنى، والقافية، وتكرار موسيقي)) (كوهين، 1986: 74).(kuhin,1986,p.74) . وقد عمد الشاعر ابن الفارض لاختيار حرف الميم ليخلق نوعًا من التوازي مما يستجلب معها حضورًا لتلك الألفاظ ذات التقارب الصوتي، ولو كان في حرفين أو ثلاثة أحرف متجانسة من أصلها، فهي مما يشغل الشاعر من البيت الأول ويبقى ذهنه متقدًا في البحث المستمر عن التوازي النّصي والدلالي لما يقترب بالصوت للمعنى المطلوب تحقيقه لمقصدية كل ما يصبو إليه فيما يرتبط مع الأُخرى لتشكل رؤية متكاملة يمثلها المضمون في قصديته، بل إنَّ الائتلاف بين اللفظ والوزن لا يسعى إلى تقوية النغم على صعيد الإيقاع الذي قدمن له فحسب، بل هو((تأكيد الوصف أو المدح، أو الذم، أو التهويل، أو الوعيد))(المصري، 1963: 375) .(almisri,1963,p.375)

إنَّ تكرار ما يجانس القافية لفظًا ودلالةً هو ما يقوي النغم من جهة ويدعم تلك الدلالة المقصودة من جهة أُخرى على مستوى البيت وعلى مستوى القصيدة عموديًا كما في ميمية ابن الفارض في كثير من أبياتها بنسق متوازٍ لمفردات ذات إيقاع لنغم واحد غير متكرر مثاله الألفاظ: (الختمُ، والجسمُ، والسقمُ، والبكمُ، والشمُ، والنجمُ، والصمُّ، والسمُّ، والرسمُ، والرقمُ)، ثم تراه يلتزم في أخرى من الأبيات في ألفاظ متوازية مثالها(علمُ،

وجسمُ، ورسمُ، وفهمُ، وجرمُ) فالصورة تناغمت بين اللفظ وبين ما يعوّل عليه في تحقيق السبك النّصيّ وقوة التماسك، وإنَّ صوت الميم يبرز الصورة السمعية للأداء النفسيّ المقصود لحالة الحبّ واستجابةً للقلب لكل ما يؤمر به من قبل المحبوب، وتصوير حالة خوفه من الهجر ، وما يترتب عليه.

ب ـ وسائل الانسجام(الحبك)، وهي:

يتعدى معيار الانسجام ما ذكرناه من مستويات السبك المعجمية منها والنحوية، والصوتية إلى مستوى الدلالة، إذ به تتحقق وحدة النّص وهو ما يكمل معه الارتباط النّصيّ، وهو يختص باستمرارية قيام النّص من داخله، إذ يعبر عنه سعد مصلوح بقوله: ((الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم، وكلا هذين الأمرين هما حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنّص إنتاجًا وإبداعًا أو تلقيًا واستيعابًا، ولها على نحو يستدعي فيه بعضها بعضًا، ويتعلق بواسطته بعضها ببعض))(مصلوح، 1991: 154)(masluh,1991,p.154) . فالحبك كما يبدو أعم من السبك على الرغم من أنَّ علماء لسانيات النّص قد اختلفوا في تحديد آلياته.(بحيري، سعيد، 1997: 123)(bhiri,saeid,1997,p.123) ، لكن تبرز ضمن النّص أبرز الوسائل التي تسهم في خلق نص محبوك كنص يعلو لمرتبة النّصوص الجيدة ومنها:

1. العلاقات الدلالية:

تعدُّ العلاقات الدلالية واحدة من أهم مقومات النّص يعرف بها علاقات تجمع شتات النّص بوصفها تربط أجزاء النّص ببعضها، فتشكل وحدة متماسكة تنتظم في اطار يوجهه صاحب النّص بشكل عام، ثمَّ ترشد المتلقي، وهو بذلك الإطار التنظيمي المقصود في وضعه والعمل عليه(فرج حسام، 2009: 131)(fraj husam,2009,p.131) .

إنَّ هذه العلاقات المنتظمة تسهم في بيان صفة البنية النّصية، وتنظّم احداثه الواقعة خارج النّص والخاصية ، وذلك لأن المتلقي في تحليله النّص ((يبني تمثلات للمعلومات التي يحتويها النّص، والخاصية الأساسية لهذا التمثيل المعرفيّ هي أنّه يدمج القضايا المفردة المعبّر عنها في النّص في كُلٍّ أكبر، وهذا جزء من عملية فهم النّص)) (محمّد عزة، 2009: 185) .(mhmmd ,eazat,2009,p.185).

إنَّ البحث في الانسجام النّصي يحيل القارئ لمجموعة العلاقات الدلالية يسعى فيها الباحث لجمع أجزاء النّص بعضها ببعض دون الاعتماد على ثوابت ما وقفت عليه الدراسات السابقة بحكم القصيدة على قصرها، إذ قد لا يمكن أن نستبين جميع الوسائل التشكيلية لهذه العلاقات والتي منها:

1. علاقة السبب بالنتيجة أو الشرط وجوابه :

هي احدى علاقات الدلالة التي تربط بين حدثين لمفهومين احدهما ناتج عن الأخر وسابق له(عبد المجيد، جميل ،1998: 142).(eabd,al-majid,jamil,1998,p.142) . ويبدو أنّ

مرسل النّص يحرص كثيرًا لوجود هذه العلاقة داخل النّص كونها علاقة تسهم لمعقولية أهم القضايا في النّص(فرج، حسام، 2009: 143)(firij,husam,2009,p.143). فضلًا عن كونها لا تكتفي بالربط بين أجزاء النّص بل تتعدى ذلك لربطه بالسياق، ومثال هذا النوع من العلاقات في نص ابن الفارض ما أورده بتكرار (لو) وجوابها في الشطر الثاني من البيت ومنه قوله: [الطويل]

وَلَـــوْ نَظَـــرَ النُّدْمَانُ خَتْمَ إِنَائِهَا لَأَسْكَرَهُمْ مِـــنْ دُوْنِهَـا ذَلِكَ الْخَتْمُ

وَلَـوْ طَرَحُوا فِـي فَيْءِ حَائِطِ كَرْمِهَـا عَلِيْلًا وَقَـدْ أَشْفَـى لَفَارَقَهُ السَـقْمُ

(الجويدي، 2008: 192)(al-juiidi,2008,p. 192)

إنَّ هذه العلاقة واضحة في النّص، إذ لا توجد نتيجة من دون الوجود لسبب يحدث معها فهما متلازمان، إذ إنَّ لا سكر ما لم تكن هناك خمرة ولكن خمرته روحية لا تشبه خمرة القوم المادية، ولا شفاء من السقم مالم يكن هناك علة من مرض، وغيرها من الأمور ذات العلاقة السببية المشابهة في الأبيات اللاحقة لهذا البيت.

2. علاقة السؤال بالجواب:

تعدُّ من أهم انواع العلاقات التي تربط الجمل، ويتحقق بها حبك النّص، وتسهم في بناء الحوار الداخلي للنّص، كونها تربط بين دلالة السؤال بجوابه، إذ يمثل أحدهما علاقة متداخلة مع الآخر في الموضوع وفي دلالة التركيب الموجه من قبل منشئ النّص لإدارة الحوار وللسيطرة على ذهن المتلقي فلا يخرج من خطابه إلا بعد ربط تلك العلاقة بين أجزائها، فهي لها وظيفة محكمة من قبله ومثاله عند ابن الفارض قوله: [الطويل]

وَقَالُـــوَا: شَرِبْتَ الْإِثْمَ كَلَا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ الَّتي فِي تَرْكِهَا عِنْدِي الْإِثْمُ

هَنِيْئًا لِأَهْلِ الدَّيْرِ! كَمْ سَكِرُوَا بِهَا وَمَـــا شَرِبُوَا مِنْهَا وَلَكِنَّهُـمُ هَمُّوا

(الجويدي، 2008: 195)(al-juiidi,2008,p. 195)

فقد حبكت في النّص الجملتين بترابطهما بفضل علاقة السؤال بجوابه ولم يغير حذف الهمزة من قوله(شربت الإثم) من قيمة الجملة بدلالة حرف الجواب (كلا) لأن ترابط النّص بفضل تكرار دلالة لفظ الإجابة بقوله (وإنّما شربت التي في تركها عندي الإثم) فإن ترك شربها عنده هو الإثم(الذنب) على عكس ما يفهمونه فهذا الترابط لاحق البيت الذي بعدها تفصيلًا منه وزيادة في المعنى لإطالة الحوار بين المتكلمين، وهي مما أسهمت في إدارة الحوار الداخلي للنّص وحبكته.

3. علاقة الاضافة:

وهو تصعيد المعنى للوصول إلى أقصى غايته، إذ يقترب من المبالغة وذلك بتكرار الأوصاف (فرج، حسام،2009: 138)(firiji,husam,2009,p.138) ، فالشاعر يذكر أوصاف ما يستقصيه بالمعنى في الشيء المراد التكلم فيه، فيأتي بجميع أوصافه الذاتية دون أن يترك ما لا علاقة به، وهذا ممّا يسهم في خلق انسجام النّص، فيجعل في المقطع متتالية ومتتابعة، فكأنَّها مضافة لبعضها البعض بفضل هذه العلاقة في قالب لغوي متماسك على الرغم من تجزئته له ،

وإنْ كان يحكمه العطف مثل الأداة (الواو، ولكن، وأو، والفاء) ومن أمثلة شعر ابن الفارض في هذا النوع من العلاقات قوله: [الطويل]

يَقُوْلُوْنَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيْرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَا وَنُوْرٌ وَلَا نَارٌ وَرُوْحٌ وَلَا جِسْمُ

(الجويدي، 2008: 194)(al-juiidi,2008,p. 194)

فلقد وظف الشاعر علاقة الإضافة بالاعتماد على العطف وحصوله بحرف العطف الواو الذي ساعده في جعل تتابع المقاطع الجزئية لتمثل لنا الصورة بكليتها على الرغم من أن الموصوف واحد، ولعل المراد من ذلك ليسهل استيعاب كل هذه الدلالات المتجزئة، وهو كثير في نصه بوصفها ممّا يتم بها بناء النّص الرئيس بفضل التتابع في جمل قوله لوصفه الخمرة.

4. علاقة التشبيه:

تعدُّ من العلاقات المعجمية ذات الدلالة التي توضح معنى مرتبطًا بآخر؛ وذلك لعلاقة قائمة على التشبيه بين شيئين أو أكثر يجمعهما وجه شبه يربطهما أداة ، وقد استعمل الشاعر في نصه (الكاف، وكأنَّ) ليبين العلاقة فيما يريد أخبارنا عنه في موضعين مختلفين ومنه قوله: [الطويل]

وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حَشَاشَةٍ كَأَنَّ خَفَاهَا فِي صُدُورِ النُّهَى كَتْمُ

(الجويدي، 2008: 195)(al-juiidi,2008,p. 195)

وقوله في بيان التشبيه أيضًا: [الطويل]

وَيَطْرَبُ مَنْ لَمْ يَدْرِهَا عِنْدَ ذِكْرِهَا كَمُشْتَاقِ نُعْمٍ كُلَّمَا ذُكِرَتْ نُعْمُ

(الجويدي، 2008: 191)(al-juiidi,2008,p. 191)

إنَّ استعمال الشاعر هذه علاقة في بيان تشبيه حال من أدام الشرب من هذه الخمرة الروحية كمن اشتاق لذكر المحبوبة واللقاء بها فكيف لمن لا يستطيع مشاهدتها، أو كمن كان متيمًا بحبها فسكنت فؤاده فخفاء حبها أفضل من إعلانه وبوحه بذكرها خوفًا من الشامتين .

ففي المثالين يلاحظ أنَّ أداة التشبيه قد حققت الترابط بين جملتين في النّص، فضلًا عن انسجام النّص ككل وله الأثر على المتلقي في التأمل لتحليل الصورة، وهو ممّا يجذب المتلقي ويحقق الانسجام في النّص.

إنَّ للعلاقات الدلالية أثرها في ربط أجزاء النّص من خلال التواصل للمعنى الذي تتضمنه مجموعة الوسائل التي يتوسم بها الشاعر في نصه من خلال اختياره لها كونها لها الدور في انسجام النّص وحبك صورته وهو مما يفهم في السياق واثبتناه في الدراسة . وإننا إنْ لم نذكر السياق كونه قد مر به التوضيح في ثنايا البحث إذ يدخل في التماسك النّصي والانسجام فله الدور في كليهما ومما لا يغفل عنه كل من الشاعر والمتلقي في قراءته المتفحصة .

خاتمة الدراسة :

انتهت الدراسة إلى نتائج عدة من أهمها ما يأتي:

1ـ كشفت هذه الدراسة أنَّ ابن الفارض شكّل صوتًا متميزًا في الشعر الصوفي، إذ يعدُّ من أبرز شعراء عصره ويوضع قبال جلال الدين الروميّ وابن عربي في عطائهم وإرساء الأفكار والرؤى في عمق اللغة ممّا يدل على وعي تام بتوظيف اللغة وجمالياتها، فكان لها الأثر في إبراز المعاني الصوفيّة بصور لها دلالاتها في تجربتهم الروحية الصادقة المعبرة عن الوجد والمحبّة.

2ـ إنَّ الشعر الصوفيّ وسيلة للتعبير عن أحوالهم ومقاماتهم التي يرتحلون بها بأرواحهم والتعبير عن أذواقهم كل ذلك بلغة تقترب من التصوير البياني وقد غلب على كثير من شعره بالرمز والإشارة إلا أنَّنا وجدنا بعضه واضحًا في قصيدته هذه.

3ـ إنَّ للعلاقات الدلالية أثرها في ربط أجزاء النّص من خلال التواصل للمعنى الذي تتضمنه مجموعة الوسائل التي يتوسم بها الشاعر في نصه من خلال اختياره لها كونها لها الدور في اسجام النّص وحبك صورته وهو مما يفهم في السياق واثبتناه في الدراسة .

4ـ إنَّ الخطاب الشعري الصوفي لابن الفارض لا يختلف عن الموروث الشعري الذي سبقه، بل هو جزءٌ لا يمكن أنَّ يتجزأ منه، إذ خطابه يرقى لمستوى الخطاب كونه نصًا يحمل عناصر الخطاب لما يحمله من معنى وفقًا لمستويات معمول بها ضمن النظرية المفروضة من قبل النقاد النّصانيين واللسانيين.

المصادر:

- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ،(د.ت)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمّد الافريقي ت(711هـ)، (د.ط.ت)، **لسان العرب** ، دار صادر، بيروت .
- الأنصاريّ، ابن هشام ت(761هـ)،(2000م)، **مغني اللبيب عن كتب الاعاريب**، تح: عبد اللطيف محمّد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1.
- بارت، رولان، (1992م)، **لذة النّص**، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1.
- بارت، رولان،(1986م)، **من الأثر الأدبي إلى النّص**، تر: عبد السلام بنعبد العالي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد(38).
- بحيري، د. سعي حسن، (2000م)، **اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النّص**، مجلة علامات في النقد، السعودية، المجلد(10) الجزء(38) .
- بحيري، سعيد حسن، (1997م)، **علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات**، دار النوبة للطباعة، القاهرة، ط1.
- براون وبول، (1997م)، **تحليل الخطاب**، تر: محمّد لطفي الزليطني ومنير التركي، جامعة الملك سعود ، السعودية، (د.ط) .

- برديّ، ابن تغري، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت(874هـ)، (1963م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- البركاوي، عبد الفتاح عبد العليم، (1991م)، **دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث**، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط) .
- الجرجانيّ، عبد القاهر ت(471هـ)، (1413هـ-1992م)، **دلائل الاعجاز**، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، ط3.
- الجويدي، د. درويش، (1429هـ-2008م)، **ديوان ابن الفارض**، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1.
- حلمي، د. محمّد مصطفى،(د.ت)، **ابن الفارض والحُبّ الإلهيّ**، دار المعارف، القاهرة، ط2.
- حمودة، د. طاهر سليمان،(1998م)، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغويّ**، الدار الجامعية للطباعة والنشر، مصر،(د.ط).
- الحنبلي، العماد أبى الفلاح عبد الحي بن العماد ت(1089هـ)،1399هـ-1979م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار المسيرة، بيروت- لبنان، ط2.
- الحنفي، محمد بن أحمد بن أياس، (1404هـ-1984م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- خطابيّ، محمّد، (1991م)، **لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي، بيروت -الدار البيضاء، ط1.
- الخفاجي، ابن سنان ت(466هـ)،(1982م)، **سر الفصاحة**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1.
- دي بوجراند، روبرت،(1418هـ-1998م)، **النّص والخطاب والإجراء**، تر: تمام حسان، عالم الكتاب، القاهرة، ط1.
- دي بوجراند، ريبورت، وديسلر وآخرون،(1992م)، **مدخل إلى علم لغة النص**، تر: ألهام أبو غزالة، وعلي خليل محمّد، مطبعة دار الكتاب، ط1.
- زتسيسلاف واورزيناك، (2003م)، **مدخل إلى علم النّص مشكلات بناء النّص**، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1.
- الزركشيّ، محمّد بدر الدين عبد الله، (د.ط.ت)، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث العربي، القاهرة- مصر.
- الزناد، الأزهر، (1993م)، **نسيج النص**، الدار البيضاء-المغرب، ط1 .
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، ت(180هـ)، (1988م)، **الكتاب**، تح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط3 .
- الصبيحيّ، محمّد الأخضر، (د.ط.ت)، **مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه**، الدار العربية للعلوم ناشرون .

- عبد المجيد، جميل، (1998م)، **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّصيّة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط).
- العبد، محمّد، (2013م)، **النّص والخطاب والاتصال**، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة ،(د.ط).
- عزّام، محمّد، (2001م)، **النّص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي دراسة**، اتحاد الأُدباء والكتاب العرب، دمشق، (د.ط).
- العسكريّ، أبو هلال ت(395هـ)، (1371هـ-1952م)، **كتاب الصناعتين**، تح: محمّد علي البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط1.
- عفيفي، أحمد، (2001م)، **نحو النّص اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1.
- فرج، حسام أحمد، (2009م)، **نظرية علم النّص رؤية منهجية في بناء النّص النثري**، مكتبة الآداب- القاهرة، ط2.
- القرطاجني، حازم ت(684هـ)، (1986م)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تح: محمّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، (د.ط).
- القزويني ، الخطيب،(د.ط.ت)، **الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع** .
- قطوس، بسام،(1997م)، **قصيدة النثر قراءة في اتساق النص وانسجام الخطاب**، مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، المجلد (12)، العدد(2) .
- قياس، ليندة، (2009م)، **لسانيات النّص النظرية والتطبيق**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 .
- القيروانيّ، أبو الحسن بن رشيق ت(456هـ)، (1981م)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5.
- كوهين جان، (1986م)، **بنية اللغة الشعرية**، تر: محمّد الولي ومحمّد العمري، دار توبقال للنشر ، المغرب، ط1.
- محمّد، عزة شبل، (2009م)، **علم لغة النص النظرية والتطبيق**، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ط2.
- المصريّ، ابن أبي الأصبع ت(654هـ)، (1963م)، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان المجاز القرآني**، تقديم وتحقيق: د. حفني محمّد شرف، الجمهورية العربيّة المتحدة، لجنة إحياء التراث الإسلامي بمصر، (د.ط) .
- مصلوح، سعد، (1990م)، **العربية من نحو الجملة الى نحو النّص**، ضمن أعمال الكتاب التذكاري لجامعة الكويت، دراسات مهداة إلى ذكرى عبد السلام محمّد هارون، إعداد د. وديعة طه نجم ود. عبد بلاوي، د.ط .
- مصلوح، سعد، (1991م)، **نحو أُجرومية للنّص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية**، مجلة فصول، المجلد(15)، العدد(20).

- مفتاح، محمّد ، (1985م)، **تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ط1.
- مفتاح، محمّد، (1987م)، **دينامية النّص تنظير وإنجاز**، المركز الثقافي العربي، ط1.
- النجار، نادية رمضان،(2013م)، **علم لغة النص والأسلوب**، مؤسسة حورس الدولية، (د.ط).
- يقطين، سعيد، (1988م)، **انفتاح النّص الروائي**، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت–الدار البيضاء، ط1.

References:

- Abdel-Majid, Jamil, (1998 AD), Al-Badi' between Arabic Rhetoric and Textual Linguistics, General Egyptian Book Organization, (d. i).
- Afifi, Ahmed, (2001 AD), Towards the text, a new direction in the grammar lesson, Zahraa Al Sharq Library, Cairo, 1st ed.
- Al-Abd, Muhammad, (2013 AD), Text, Discourse and Communication, The Modern Academy of University Books - Cairo, (Dr. I).
- Al-Askari, Abu Hilal t. (395 AH), (1371 AH-1952 AD), the book of the two industries, edited by: Muhammad Ali al-Bajjawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Cairo, 1st ed.
- Al-Barkawi, Abdel-Fattah Abdel-Alim, (1991 AD), the significance of the context between heritage and modern linguistics, Dar Al-Manar for printing, publishing and distribution, Cairo, (d. i).
- Al-Hanafi, Muhammad bin Ahmed bin Ayas, (1404 AH-1984 AD), Badaa' al-Zohour fi Waqa'iyyat al-Daur, edited by: Muhammad Mustafa, General Egyptian Book Authority.
- Al-Hanbali, Al-Imad Abi Al-Falah Abd Al-Hay bin Al-Imad d. (1089 AH), 1399 AH-1979 AD), nuggets of gold in Akhbar Min Dahab, Dar Al Masirah, Beirut - Lebanon, 2nd Edition.
- Al-Jarjani, Abd al-Qaher (471 AH), (1413 AH-1992 AD), Evidence of Miracles, read and commented on by: Abu Fahr Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, 3rd Edition.
- Al-Juwaidi, Dr. Darwish, (1429 A.H. - 2008 A.D.), Ibn Al-Farid's Diwan, Al-Asriya Library, Saida - Beirut, 1st Edition.
- Al-Khafaji, Ibn Sinan (466 AH), (1982 AD), The Secret of Eloquence, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1st Edition.
- Al-Masry, Ibn Abi Al-Asba' (654 AH), (1963 AD), editing inking in the manufacture of poetry and prose and a statement of the Qur'anic metaphor, presented and investigated by: Dr. Hefni Muhammad Sharaf, United Arab Republic, Committee for the Revival of Islamic Heritage in Egypt, (d.).
- Al-Najjar, Nadia Ramadan, (2013 AD), Text Linguistics and Style, Horus International Foundation, (Dr. i).
- Al-Qayrawani, Abu Al-Hassan bin Rashiq (456 AH), (1981 AD), Al-Umda fi Beauties of Poetry, Literature and Criticism, edited by: Muhammad Muhi Al-Din Abdul Hamid, Dar Al-Jeel, 5th edition.

- Al-Qazwini, Al-Khatib, (D.T.T), Clarification in the Sciences of Rhetoric, Meanings, Al-Bayan and Badi'.
- Al-Qirtagani, Hazem T. (684 AH), (1986 AD), The Platform of the Rhetoric and the Siraj of the Writers, edited by: Muhammad Al-Habib Ibn Al-Khoja, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut - Lebanon, (d. i).
- Al-Subaihi, Muhammad Al-Akhdar, (D.T.T), Introduction to the linguistics of the text and its fields of application, Arab House for Science Publishers.
- Al-Zarkashi, Muhammad Badr Al-Din Abdullah, (D.T.), Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Arab Heritage House, Cairo - Egypt.
- Al-Zinad, Al-Azhar, (1993 AD), Naseej Al-Nass, Casablanca-Morocco, 1st ed.
- Azzam, Muhammad, (2001 AD), the absent text, manifestations of intertextuality in Arabic poetry, a study, the Union of Arab Writers and Writers, Damascus, (d. i).
- Bardi, Ibn Taghri, Jamal al-Din Abu al-Mahasin Youssef (874 AH), (1963 AD), The shining stars in the kings of Egypt and Cairo, The Egyptian General Organization for Authoring, Translation, Printing and Publishing.
- Brown and Paul, (1997 AD), Discourse Analysis, see: Muhammad Lutfi Al-Zulaitni and Munir Al-Turki, King Saud University, Saudi Arabia, (d. i).
- De Beaugrand, Report, Dessler and others, (1992 AD), an introduction to why the language of the text, see: Elham Abu Ghazaleh, and Ali Khalil Muhammad, Dar Al-Kitab Press, 1st ed.
- De Beaugrand, Robert, (1418 AH-1998 AD), Text, Discourse, and Procedure, T. T.: Tammam Hassan, Book World, Cairo, 1st ed.
- Farag, Hossam Ahmed, (2009), the theory of text science, a systematic vision in the construction of the prose text, Library of Arts - Cairo, 2nd ed.
- Hamouda, Dr. Taher Suleiman, (1998 AD), the phenomenon of deletion in the linguistic lesson, University House for Printing and Publishing, Egypt, (d. i).
- Jean Cohen, (1986 AD), The Structure of Poetic Language, see: Muhammad Al-Wali and Muhammad Al-Omari, Toubkal Publishing House, Morocco, 1st Edition.
- Maslouh, Saad, (1990 AD), Arabic from syntax to text, within the works of the Kuwait University Memorial Book, studies dedicated to the memory of Abd al-Salam Muhammad Haroun, prepared by Dr. Wadea Taha Najm and Dr. Abdel Balawi, d.
- Maslouh, Saad, (1991 AD), towards an accusative grammar of the poetic text, a study in a pre-Islamic poem, Fosoul Journal, Volume (15), Issue (20).
- Muftah, Muhammad, (1985 AD), Analysis of Poetic Discourse (Strategy of Intertextuality), Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon, 1st Edition.
- Muftah, Muhammad, (1987 AD), The dynamism of the text, theorization and achievement, the Arab Cultural Center, 1st ed.
- Muhammad, Azza Shebl, (2009 AD), Theory and Application of Text Linguistics, Faculty of Arts, Cairo University, 2nd Edition.

- Qatous, Bassam, (1997 AD), the prose poem reading in the consistency of the text and the harmony of the discourse, Mutah for Research and Studies, Jordan, Volume (12), Issue (2).
- Qiyas, Linda, (2009 AD), Linguistics of the Theory and Application, Library of Arts, Cairo, 1st Edition.
- Yaqtin, Said, (1988 AD), The Opening of the Narrative Text, Publications of the Arab Cultural Center, Beirut - Casablanca, 1st Edition.
- Zzislav and Orzinak, (2003 AD), Introduction to Textual Science, Problems of Text Construction, tr: Said Hassan Behairy, Al-Mukhtar Foundation, Cairo, 1st ed.
- Helmy, Dr. Muhammad Mustafa, (D.T), Ibn Al-Farid and Divine Love, Dar Al-Maaref, Cairo, 2nd Edition.
- Khatabi, Muhammad, (1991 AD), Linguistics of the Text: An Introduction to the Harmony of Discourse, The Arab Cultural Center, Beirut - Casablanca, 1st Edition.
- Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Qanbar, d. (180 AH), (1988 AD), the book, edited by: Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo - Egypt, 3rd edition.